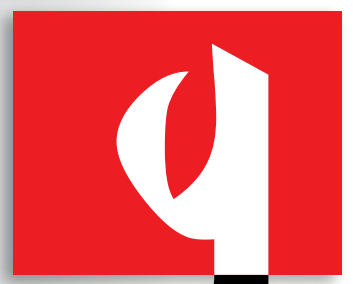


# خديجة الحديثي



# درافة

من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

خديجة

العدد (4214) السنة الخامسة عشرة -

الخميس (14) حزيران 2018

WWW. almadasupplements.com

5

من آراء الدكتورة الحديثي  
النحوية



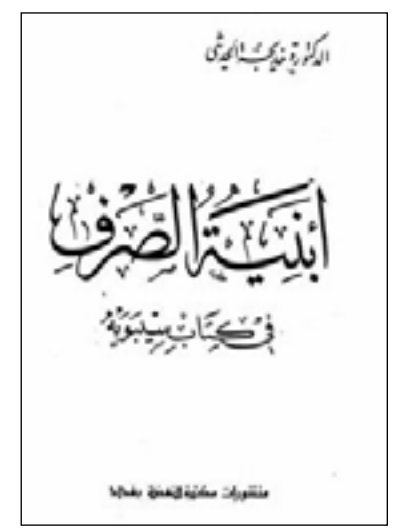
لا يختلف اثنان في أن كتاب سيبويه أروع كتاب صُنفت قديماً في النحو والصرف، لا لأنَّ سيبويه بناه على غير مثال سابق فحسب، بل أيضاً لأنه استوفى فيه قوانينهما واستقصاهما استقصاء بهر معاصريه ومَنْ خلفوهم على مر العصور، حتى أطلقوا عليه جميعاً اسم "الكتاب" عنواناً يتفرد به دون غيره من الكتب التي عاصرتُه أو ألفت بعده، لما امتاز به من كمال في وضع أصول الصرف والنحو وضعاً نهائياً بحيث لم يترك فيهما للعصور التالية شيئاً تضيفه إلا بعض الترفيقات والزوائد الطفيفة مما جعل صاعد بن أحمد الأندلسي يقول: "لا أعرف كتاباً أَلَفَ في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الاقلاك، والثاني كتاب ارسططاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشد عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له».

# خديجة الحديثي واعادة تقديم سيبويه

## تقديم سيبويه

### الدكتور شوقي ضيف

باحث مصري راحل



وكان أول من تلقى هذا الكتاب النفيس عن سيبويه وأذاعه في الناس الأخفش سعيد بن مسعدة، وعنه أخذ نحاة البصرة من تلامذته وتلامذة سيبويه، كما أخذ نحاة الكوفة غير عابثين بما بينهم وبين البصريين من منافسات حادة لتذليله علمي النحو والصرف، وما أشاعه فيهما من التقنين المصيب مع الترتيب الدقيق لمقدماتها الصحيحة والإحاطة التامة بهلما ومقاييسهما المطردة. وبذلك كله أصبح هذا الكتاب الأمام المتوجع لعلماء النحو والصرف في كل عصر والكنز الذي لا يزال يسيل بالفرائد النحوية والدرر الصرفية. وقد عكف أسلافنا على الكتاب منذ ذبوعه يقرأونه ويعكسونه على أنفانهم وأفهامهم مراراً وتكراراً لما استقرَّ بينهم من أن أحداً لا يستطيع أن يبلغ مبلغاً محموداً في علمي الصرف والنحو إلا إذا اتقن درسه فقها وفهماً، وتحليلاً وتأويلاً. وقد انبرى كثيرون على اختلاف انصهارهم وتفوات انصهارهم يشروحونه ويفسرونه، وكل يحاول بجهده أن يجلو مواضع استغلاله وخفيات دلالتة، ويبسط ما أجمل من بعض مقدماته وعلله ومقاييسه. وبلغ من ضخ مائدته وما يحوي من بعض العسر والصعوبة في جوانب من تصارييف عباراته وكوامن معانيه أن سَمَّاه القدماء "البحر" لعظم ما يحمل من عناء نحوي وصرفي، وما يحتاجه قارئه من قطنة سليمة يستطيع بها أن يسلك مخارجه



لفقه وناظمة الفرع مع أصله. وكان ذلك عملاً شاقاً، غير أنها أقدمت عليه غير حافلة بمشقة أو جهد عنيف تبذله، بل لكانتها كانت تجد متعتها الخالصة فيما تنكلف ليحدثها من جهد ومشقة وعناء. وكان حظها عظيماً أن تعهدتها – في أثناء ذلك – بالرعاية والتوجيه زميلي العلامة العلمية العراقية عبد الحلیم النجار الذي أوتي من العلم بكتاب سيبويه وغيره من الكتب الصرفية والنحوية ما يجعل فقد البينات العلمية العربية له خسارة كبرى. ولا شك في أن أكبر ما يعزينا عن الرُّزء فيه أن نقرأ المباحث العلمية التي أشرف عليها في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأن نرى فيها آثاراً من إرشاداته السديدة. ولا يزال أذكر فناءه على بحث السيدة خديجة عبد الرزاق الحديثي، وفناء المتحنتين لها معه على ما أنت فيه من جهد علمي خصب. والله ولي الهدي والتوفيق.

لغقه وناظمة الفرع مع أصله. وكان ذلك عملاً شاقاً، غير أنها أقدمت عليه غير حافلة بمشقة أو جهد عنيف تبذله، بل لكانتها كانت تجد متعتها الخالصة فيما تنكلف ليحدثها من جهد ومشقة وعناء. وكان حظها عظيماً أن تعهدتها – في أثناء ذلك – بالرعاية والتوجيه زميلي العلامة العلمية العراقية عبد الحلیم النجار الذي أوتي من العلم بكتاب سيبويه وغيره من الكتب الصرفية والنحوية ما يجعل فقد البينات العلمية العربية له خسارة كبرى. ولا شك في أن أكبر ما يعزينا عن الرُّزء فيه أن نقرأ المباحث العلمية التي أشرف عليها في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وأن نرى فيها آثاراً من إرشاداته السديدة. ولا يزال أذكر فناءه على بحث السيدة خديجة عبد الرزاق الحديثي، وفناء المتحنتين لها معه على ما أنت فيه من جهد علمي خصب. والله ولي الهدي والتوفيق.

# أحمد مطلوب في كتابه رقيقة عمري.. ردّ الجميل إلى حواء



نادراً ما تكتب المرأة المثقفة عن زوجها في المجتمع الشرقي، فالكتنرات يحجمن عن ذلك لأسباب تتعلق بالخوف من مجانبة الموضوعية، أو الإبتعاد عن تهمة الانحياز إلى الزوج بوصفه مشاركاً فاعلاً في الحياة لا سيما حين يكون على قدر عالٍ من الأهمية الأدبية، أو الاجتماعية، أو العلمية، ومنهن من تصرف النظر عن هذه المهمة بدوافع نفسية مختلفة، والواقع يشير بقوة إلى نساء كتبن عن أزواجهن كتباً مهمة، فقد قدر لي أن أقرأ لـ(سوزان طه حسين) التي كتبت: (معدن) عن تجربتها الحية مع عميد الأدب العربي زوجها (طه حسين) قد تكون هذه المرأة استثناء؛ لأنها فرنسية الأصل، لكنّها – والحق يقال – تطبعت بطباع الشرق وعاداته، وصارت أمّاً مصريةً بامتياز، من النساء اللاتي كتبن عن سيرة أزواجهن: (عبلة الرويني) التي كتبت سيرة زوجها الشاعر(أمل دنقل) في كتابها: (الجنوبي)، ثمّ (غادة السمان) التي كتبت: (بشير الداعوق كأنه الوداع) وفيه تحدّثت أول مرّة عن حياتها الزوجية، وعشقها لزوجها الراحل الذي رافقته أربعين عاماً كانت بالنسبة لها تاريخاً شخصياً لا ينسى. أمّا في العراق فإنّ د. خديجة الحديثي قد أخذت على عاتقها مسؤولية الكتابة عن زوجها: (د.أحمد مطلوب) حين أصدرت كتابها الأخير: (رفيق عمري في كتابات الآخرين)، ويبدو لي أنّ الأزواج المثقفين يحجمون عن الكتابة عن زوجاتهم لأسباب كثيرة يقف في أولها النجل المتوارث الذي جعل الحديث عن الزوجة يدخل في باب الحياء الموروث الذي تندخسه قامات النساء السامقات، وهنّ يمارسن وجودهن الفاعل في الحياة أعمالاً، وعلماً، وأمثات يتشار إليهنّ بالبنان.



لقد عُرفت الدكتورة بتواضعها المعزّ، تواضع العلماء الذين يرون في ما وصلوا إليه بداية الانطلاق نحو العلم، وكأنهم في أول الطريق، حدثنني يوماً زميلي وقريبي الشهيد د. كريم أحمد جواد التميمي –رحمه الله –، وهو من طلابها النابغين، والمقربين إلى قلبها وعقلها عن تواضعها قائلاً: كانت أستاذتنا تدرّسنا في إحدى مراحل البكالوريوس في آداب بغداد، وكانت تمايلاً بخط يدها سيورة القاعة شرحاً وتعليقاً على شواهد النحو أملاً في تقريب المادة إلى الأتاهان، وكانت كلُّما امتلأت السيورة عمدت إلى تنظيفها بيدها الكريمة مرّات وليس مرة واحدة، وهي في عمرها الجليل من دون أن تنتدب طالباً، أو طالبة للمهمة، كما يفعل قسم من أستاذتنا، ما قاله التميمي جزء يسير يكشف شغف الدكتورة بالدراس الجامعي، وتعلّقها بأساسيات المهنة، وتقاليدها، ليحيل على سجاياها، وخصالها التي يعرفها الجميع. بُني الكتاب الذي جاء بأربعمئة وخمس وخمسين صفحة على (ثلاثة وثمانين) نصّاً، لم أسمها فضولاً بل سميتها (نصوصاً) لاختلافها في مضمونها الدلالي بين نصّ سيرة، وقصائد، ومقالات، ومقابلات، ووثائق، على وفق الآتي: السيرة: في نصوص السيرة أدخل د. مطلوب في متن الكتاب سيرتين، الأولى: السيرة العلمية التي تتبّع فيها المصنّف الحديثية بدءاً من تخصصها الدراسي والعلمي وصولاً إلى إشرافها على رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وانتهاءً بالجوائز التي حصلت عليها، والكتب المؤلفة التي بلغت اثني عشر كتاباً في النحو، والصرف والدارس النحوية، وتيسير النحو، والكتب المحققة التي بلغت عشرة كتب، والكتب المدرسية التي ألفت فيها كتابين، والبحوث التي بلغت اثني عشر بحثاً، والمواد الموسوعية التي بلغت خمس عشرة مادة. أمّا السيرة الأخرى التي

### فاضل عبود التميمي

ضيف –رحمه الله – عن د. الحديثي الأولى عنوانها: (كتاب أبنية الصرف في كتاب سيبويه) التي صارت فيما بعد مقدمة كتابها الذي كان في الأصل رسالة ماجستير أشرف عليها د. عبد الحلیم النجار، وصدر في بغداد ١٩٦٥م، والأخرى عن اطروحتها (أبو حيان النحوي) التي صارت مقدمة للكتاب بالاسم نفسه، وصدر في بغداد ١٩٦٦م، وفي المقالتين أشاد ضيف بجهود د. خديجة وعلمها. الدراسات التي كتبها طلاب الدكتوراه الحديثي، وهي دراسات علمية وافية ناقش فيها كتابوها كتب د. الحديثي عرضاً وتحليلاً، وكانت أرقاماً: د. محمد عبد المطلب البكاء الذي كتب: (الدكتوراه خديجة الحديثي صدق العزيمة والسيق العلمي)، ود جليل كمال الدين الذي كتب(سيبويه حياته وكتابه)، ومحمد حسين الصغير الذي كتب مقالة بالعنوان السابق نفسه، ود كريم أحمد جواد التميمي –رحمه الله- الذي كتب دراستين الأولى:(من اعلام الفكر النحوي المعاصر في العراق: الدكتوراه خديجة الحديثي)، والأخرى: (سمات النحو البغدادي في ضوء كتاب بغداد والدرس النحوي)، ففي هذه الدراسات جميعاً وقف الدارسون على أبرز ما يميّز الدكتوراه الحديثي منهجاً، وإجراءات، وتحذت أستاذتنا عن الخاتمة نفسها عن مؤلفاته، وحياته الاسرية، وأولاده، وبناته، وقد جعل للخاتمة ملاحق تضمّنت: رسالة شعرية بمناسبة إصدار الكتاب أرسلها ابنهما الأكبر: أمير وهو يحصل دكتوراه في أمراض المفاصل والتأهيل الطبي، ورسالة نثرية كتبها ابنتهما الآخر: نصير حامل شهادة البورد العربي في الأمراض الجلدية، ثمّ قصيدة بالمناسبة نفسها كتبها الحفيذة رفل أمير. وبعد: فكتاب (رفيقة عمري) ليس كتاب سيرة غيرية خالصة فحسب، إنما هو كتاب استنكاري استحضّر فيه (المصنّف) الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي في سيرتها الحياتية والعلمية، ثمّ أضاف إلى متنه ما كتبه عنها بعض أستاذتها، وطلابها الذين كان لها ولما يزال موقف في نفوسهم، وقد قطعت شوطاً جليلاً من حياتها وهي تدرّس أو تحقّق كتاباً، أو تبحث في مظان الصرف، فضلاً عن أثرها في تاريخ تعليم النحو، والدراس في العراق والوطن العربي. والكتاب الاستنكاري ينحو منحى قريباً من المادة الموسوعية بسبب سعة عقل الشخصية المحققي بها، وهي هنا شخصية د. خديجة الحديثي التي كتبت في حقول علمية وثقافية لا يمكن انكارها، فضلاً عن حضورها الطاغى في الوسط الأكاديمي بوصفها أول امرأة عراقية، وربما عربية تختص بعلمي النحو، والصرف، ولو قيّض لأستاذتنا د. أحمد مطلوب أن يعثر على كل ما كتبت عن الدكتوراه لكان كتابه موسوعة بمجلدات، فقد قدر لكثير ممّا كتبت عنها أن تلتهمه النيران التي باغتت مخزن الأسرة الذي كان بمنزلة أرشيفها في نيسان ٢٠٠٨.



تعرض النحو العربي وعلى مدى تأريخه الطويل إلى خمس محاولات تجديدية، أو تيسيرية، وكان ذلك ابتداءً من القرن السادس الهجري على يد أبي مضاء القرطبي (ت ٥٢٤هـ) الذي دعا إلى إلغاء نظرية العامل، والعلل، وغيرها من الدعوات، وتالت المحاولات بعدها من المحدثين والمعاصرين إذ وجدت دعواه هذه صدىً عند مجموعة من العلماء المعاصرين مثل شوقي ضيف، وإبراهيم مصطفى.

### د. مؤيد عبد الجبار خضير



ذكرت الحديثي، أن القدماء لم يتعرضوا إلى قضية العامل، والقياس، وأبواب النحو، بل تعرضوا إلى المادة النحوية في المختصرات، وهذا برأيها ليس من التيسير في شيء، وعلت ذلك بقولها: إن هذه المختصرات هي كتب تعليمية وليست تيسيرية لأنها اعتمدت تعليات، وتقديرات لا يحتاج لها، وجدل منطقي نقلوه من الدراسات الفقهية، والمنطقية، والفلسفية، ولا سيما في تناولهم أصول النحو العربي، وترى الحديثي أن هذا ما لا يحتاجه المتعلم في النطق، وضربت لذلك مثالا وهو اختلاف النحويين في علامة رفع الأسماء الستة أهى الواو، أو الضمة، أو الضمة والواو، أو ضمة مقدره على الواو، فهذه الأشياء وأمثالها من الجدل والتعقيد للدراسة النحوية لا تفيدنا نطقاً، فالتيسير عندها يمس النطق وهو ما يفيد المتكلم، ما الخلافات النحوية والجدل الدائر بين مس قضية النطق وهو ما يفيد المتكلم، العلماء حول قسم من المسائل النحوية فهو من الجدل العقيم الذي لا طائل من وراءه.

موقفها من مسألة المدارس النحوية: اهتمت الحديثي في قضية المدارس النحوية أيما اهتمام حتى أنها أفردت لها مصنفًا كاملاً حمل هذه التسمية، كان ذلك عام ١٩٨١ وقد طبع هذا الكتاب، بدأت الكتاب بمقدمة عرضت فيها لحقيقة المدارس النحوية، أو المذاهب النحوية، وانتهت إلى أن تلك حقيقة لا تنكر وإن اختلفت

## الدكتورة خديجة الحديثي ومصطلح المدارس النحوية

الأسماء، وعلت ذلك بقولها: "الدرس النحوي لم يكن قول الب جامدة، أو اتجاهها واحداً في بيئاته جميعاً" وإنما اختلف باختلاف البيئات، وكان لكل بيئة طابعها، ومع ذلك هي اقرب بأن هذا التنوع في هذه البيئات لا يقود إلى الاختلاف الذي يولد أنواعاً مختلفة من النحو؛ وبتتابها العظيم وراثتها الخالد.

اختلف علماء النحو في المصطلح نفسه (مدارس)، مثلما اختلفوا في البديل، وفي عدد هذه المدارس، أو المذاهب، أو الاتجاهات، عند مؤيدي وجودها، لأن هناك من العلماء مثلاً يقدر وجودها من الأصل، وللدكتورة الحديثي رأي في ذلك سنجمله بعدما تعرض لمجموعة من الآراء القدماء والمعاصرين:

رأى القدماء: بصورة مجملة لم تر من أشار إلى مصطلح (مدرسة) للدلالة على اتجاه نحوي معين، بل اتبعوا في تصنيفهم العلماء بنسبتهم إلى البلد الذي نشأوا فيه فهم بصريون، وكوفيون، وبغداديون، ومصريون، وأول من يلقانا من القدماء محمد بن سالم الجمحي (ت ٢٣٥) الذي قال: "وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، والدليل على أنهم أي القدماء، كانوا ينسبون النحاة إلى بلدانهم، ويذكرونهم في ترجمتهم إياهم بحسب البلدان، ولم يكونوا يعرفونهم باسم (مدرسة)، أو (مذهب) أن أبا الطيب اللغوي ختم كتابه بعد الانتهاء من ذكر البصريين والكوفيين وقوله فيهم: "وإلا علم العرب إلا فيهم؛ بالتعريف في

# من آراء الدكتورة الحديثي النحوية

### إعداد: عراقيون

ضيف من المحدثين؛ لأنه من المعلوم أن أصل النحو "نحو البصرة" وتفرع عنه نحو الكوفة وعن هذين النحويين نشأ النحو البغدادي الذي تميز بالاختيار منهما...

### رأيها في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي:

قد أفردت الدكتورة خديجة الحديثي لاستشهاد الخليل بالحديث النبوي الشريف عدة صحائف من كتابها موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.

وترى د. خديجة الحديثي أن هناك أدلة علمية تقطع باعتماد الحديث في النحو الكوفي- ولا سيما فيما وصل إلينا من مؤلفاتهم ومن أبرزها كتاب (معاني القرآن) للفرء، بل إن الفرء كان يصرح بنسبة الأحاديث إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ذلك ما جاء في قوله: ((... وكان الكبشاني يعيب قولهم (فلنرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال في بعض المشاهد: (لتأخذوا مصافكم) يريد به: خذوا مصافكم.

وواقع أن نصريح الفرء بنسبة الأحاديث إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعد منهجاً انفراديه بين علماء البصرة والكوفة؛ لأن من سبقه من النحويين أو عاصره لم يصرح بهذه النسبة.

وقد وجدت الدكتور خديجة الحديثي أن من النحاة المتأخرين كابن الضائع (ت ٦٨٦هـ) وأبي حيان الأندلسي (ت ٥٤٥هـ) والشاطبي (ت ٧٩٠هـ) والبغدادي في خزائن الأدب يذهبون إلى أن ابن خروف (ت ٦٠٩هـ) أو ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) أو السهيلي أول من احتج بالحديث النبوي الشريف ومع هذا يوردون لأعلام نحوية توفيت قبل تلك الشخصيات المتأخرة استشهداتهم بالحديث النبوي الشريف. وقد عللت الدكتورة الحديثي ذلك بأنهم كانوا يريون أن هؤلاء النحاة هم أول من قاموا باستقراء الأحاديث واستخلاص ما جاء فيها من قواعد جديدة أثبتوها أو استدرجوا بها على قواعد النحاة الأوائل مما ورد في

ب(باب علم ما الكلم من العربية) قسم فيه الكلم إلى اسم وفعل وحرف، وقسم فيه الفعل إلى أقسامه الثلاثة، وتلاه ب(باب مجازي أو آخر الكلم في العربية) نكر فيه أحوال الإعراب وهي أربعة: الرفع والجر والنصب والجرم، وأحوال البناء، وهي أربعة: الفتح والكسر والضم والوقف، وبين أقسام الكلام التي تدخلها علامات الإعراب وهي الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين... الخ.

وقد ظلت طريقة سيبويه هذه متبعة عند النحاة في تصنيف كتبهم حتى عصرنا الحاضر فهذا ابن مالك يبدأ ألفيته بقوله: كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف - الكلم ثم أرف ابن مالك باب الكلام وما يتألف منه بباب المعرب والمبني

### × رأيها في مصطلح المدارس النحوية:

لقد تحدثت الدكتورة الحديثي في كتابها المدارس النحوية وبصورة مفصلة عن الموضوع متناولة ظهور المصطلح عند القدماء حيث توصلت إلى نتيجة مفادها أن القدماء لم يتعرضوا ابتداءً لتصنيفهم إلى مصطلح المدارس النحوية، وعليه أيضاً الدكتور عبد الكاظم الياسري في كتابه دروس في المذاهب النحوية.

وترد أول إشارة إلى نشأة النحو عند ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء، حيث أشار إلى قدمة أهل البصرة في النحو وكلام العرب، وبعده يأتي ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، إذ ترجم لأعلام البصريين والكوفيين، ولم يشر إلى المصطلح.

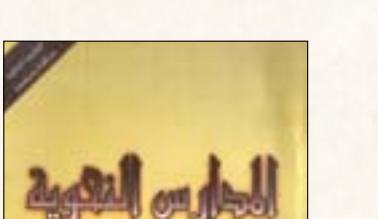
تقول الدكتورة الحديثي: "يبدو أن القدماء اعتمدوا في تقسيمهم النحاة والتمييز بينهم النسبة إلى المدينة أو البلد، ولم يجمعوهم عند الترجمة لهم تحت "مدرسة" أو "مذهب".

أما المحدثون فقد رأينا اختلافهم في التسمية بمدرسة تجوز أم لا تجوز؟ وما شروط ما يصح أن يسمى بمدرسة" من بين هذه المجموعات؛ كما بينا اختلافهم في عدد هذه المدارس النحوية وكل هذا الاختلاف لا نرى مبرراً له، ولا فائدة في وجوده لأن الأفضل أن نتبع في تقسيمنا للنحاة ما اتبعه الزبيدي من القدماء والدكتور شوقي

الدكتورة خديجة عبد الرزاق عبد القادر الحديثي عالمة في النحو العربي ورائدة في أبحاثه ودراساته لا سيما في موضوع الشاهد النحوي وبالاحتجاج النحوي وبالمدارس النحوية، وألفت في ذلك عشرة كتب أخذت بورها في الجامعات العراقية والعربية وبعض الجامعات الأوروبية والإفريقية وصار لها مريدون وتلامذة يستشهدون بأصولها ومصادرها، وإلى مؤلفاتها حققت العديد من الكتب لعلماء نحويين وكتبت أبحاثاً غاية في الدقة والعلمية والموضوعية، وقد اجتمعت للتدريس في الجامعات كافة.. وعبر هذا الإنجاز والحوية، العلمية وجدناها تتمتع بمزايا التواضع والبساطة وشفافية الحوار بينها وبين الآخر، وهو تواضع العلماء زادها رصانة وإحكاماً..

### رأيها في كتاب سيبويه:

ترى الدكتورة خديجة الحديثي أن سيبويه رتب كتابه ترتيباً منطقياً واضحاً وبعقلية تنظيمية وبإحساس منه بتمييز البحوث النحوية عن الضرورية واللغوية؛ فرأت أن سيبويه ابتداءً والمصرية، وهو بحث يرسم في إجمال الجهود الخصبة لكل مدرسة وكل شخصية نابية فيها. في عدد هذه المدارس تبعاً لرأيهم في الحد والتعريف ولم يختلف المعاصرون بالمصطلح فقط بل نجدهم اختلفوا كذلك في عدد هذه المدارس تبعاً لرأيهم في الحد والتعريف، فنتهم من قال بوجود مدرسة واحدة وهي مدرسة البصرة كالمشرق جوتولد فايل، وأكثر وجود مدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد. ومنهم من يؤكد وجود مدرستين فقط هما، البصرة والكوفة كالدكتور الخزومي. ومنهم من قال بوجود ثلاث مدارس كالاستاذ أحمد أمين، عاذا مدرسة بغداد ثالثها، ومنهم من قال بأربع كالاستاذ طه الراوي، ومنهم من أوصلها إلى خمس كالدكتور شوقي ضيف.



أما الدكتورة خديجة الحديثي، فعلى الرغم من أنها قد سمعت كتابها بالمدارس النحوية وكأنها مقرة بهذا المصطلح ضمناً إلا أنها لم تزج نفسها بهذا الخلاف الشكلي مثلما تراه وذلك واضح بما تقوله: إن اختلاف البصريين والكوفيين في المصطلحات والتسميات لن يقدم أو يؤخر ولن يغير من النحو شيئاً، فالتابع واحد سواء سميناه صفة مثلما شاع عند البصريين أم نعتاً مثلما يسميه الكوفيون، لذلك لا فرق في الاعتماد على هذه اللغة وتفسير الظواهر، الواردة فيها وتعليلها وتسميتها بين أن يكون الدارس بصرياً، أو كوفياً، أو شامياً أو أندلسياً ببغادياً، أو مصرياً ببغادياً، أو مصرياً، الكتاب المذهب النحوي في البصرة، أو المذهب النحوي في الكوفة، أو الدرس النحوي في بغداد، أو الدرس النحوي في مصر، إلا أن هذا لن يغير كثيراً من الواقع، فلنكن (المدارس النحوية)، أو (المذاهب النحوية)، أو (الدرس النحوي) (ما دامت كلها تلتقي في أصول واحدة تتبع لغة عربية أصيلة نزل بها كتاب الله الخالد القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



عن بحث (الدور اللغوي للمرأة في العراق) في مجلة التراث العلمي العربي.. للعدد الثالث ٢٠٠٢م

(١)

قيل للدكتورة خديجة الحديثي:  
س : هل صحيح أن الحرية نقيض  
الخوف؟  
س: هل يمكن أن تختصري شخصيتك  
بيت من الشعر القديم؟  
فكان جوابها الذي يلخص شخصيتها:  
ج: كثيرون ممن مُنحوا الحرية خائفون.  
ج- قول الشاعر:  
وإذا كانت النفوس كباراً  
تعبت في مرادها الأجسامُ

د. هادي حسن حمودي



## خديجة الحديثي.. والانتصار على التهجي النحوي

(٢)

أثناء السنة الأولى من دراستي في كلية الآداب اطلعت على بعض محاضرات أستاذة عراقية هي الدكتورة خديجة الحديثي التي كانت تدرّس في كلية التربية، وحينما أصدرت كتابيها: (أبنية الصرف في كتاب سيبويه - ١٩٦٥) و(أبو حيان النحوي - ١٩٦٦) وما تلاهما من مؤلفات ارتقت منزلتها في عيون تلامذتها، إذ عرفت في نفوسهم الشغف بالبحث النحوي والصرفي. وأعتقد أن تناولها لموضوعي الكتابين تناولاً نسوياً يخفف من خشونة تعامل النحويين مع مسائل النحو والصرف، كان له تأثير كبير في تعميق رغبة طلاب النحو والصرف في اجتياز تشابك الأزقة النحوية التراثية. مع ملاحظة أن الدراسات النحوية كانت صندوقاً مقللاً للرجال دون النساء. ولم تظهر في التراث امرأة لها في النحو نصيب. كما إنهن في الزمن الحديث قلبات أيضاً، ربما كانت الحديثي رائدتهن في هذا الضرب من الدرس والتخصص المشترط الجد والصبر العميق.

لم ألقُ بها إلا في سنة ١٩٨٠م في وهران حين جاءت أستاذة زائرة لمدة شهر واحد، برفقة زوجها الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب الذي درّسنا في مرحلة البكالوريوس في كلية الآداب، وأشرف على رسالتي للماجستير (تحقيق مجمل اللغة لابن فارس) في ظرف حرج، بحيث لولا قبوله الإشراف على رسالتي بعد أن أجزأت أستاذ آخر تراجعته عن الإشراف عليها إلى آخر يوم لتسجيل الرسائل الجامعية في كلية الآداب، جامعة بغداد، بعد أن كان قد طلب مني تسجيل الرسالة تحت إشرافه وحدّ لي موضوعها... ما بخاسة أن الظرف لم تكن مسعفة للدراسة الخاصة خارج العراق.

تابعُت محاضراتها النحوية في جامعة وهران حيث كان ملذتها يتغولن لي أحاسيسهم وآراءهم التي أوصلتني إلى قناعة أنها استطاعت أن تنقلهم من التهجي النحوي إلى علم النحو فناً وصنعاً، لا تصنعاً. وظاهرة التهجي ظاهرة متفشية في كثير من ضروب الدرس الجامعي العربي، لذلك تراهم لا يُحسون من ذلك الدرس إلا استظهاراً كما يتهجي طالب الصف الأول الابتدائي حروف الكلمات. وقد لحظت هذه الظاهرة منذ أولى ساعات عملي في جامعة وهران، لأن الطلبة كانوا (شأنهم شأن طلاب النحو والصرف وفقه اللغة في عموم عالمنا العربي) يتلقون مسائل النحو بطريقة تقليدية لا تنسجم مع أبناء هذا الزمان. ولقد صارحتي الطلاب منذ الساعة الأولى لدخولي مدرج التدريس في بدء عملي في الجامعة، أن المادة ثقيلة عسيرة وأنهم متضايقون منها، تضايقاً وصل ببعضهم إلى الإشمئز من دراستها، بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ولكني استطعت أن أحب المادة النحوية لهم وأن ألقب ضيقهم وشمئزهم إلى انسجام مع قضاياها التي قدّمها لهم في إطار من مناقشة مقالات الأقدمين ورؤاهم، وواظبت انتهاز ذلك النهج إلى أن تخليت عن تدريس النحو مكتفياً ببقية اللغة ومناهج البحث، وبعدها عادت شكوى الطلاب من المادة نتيجة طريقة التدريس، إلى أن حظيت الجامعة بدجسيء الدكتورة خديجة الحديثي لتخرج الطلاب من تلك الشرنقة طيلة فترة وجودها هناك.

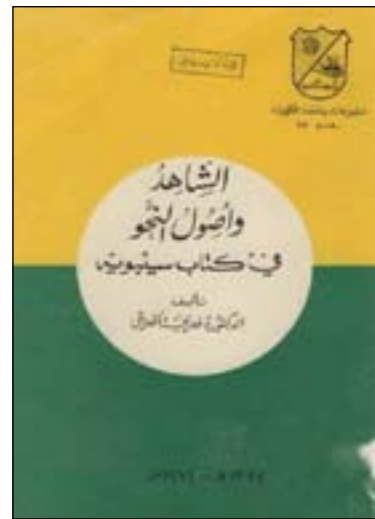
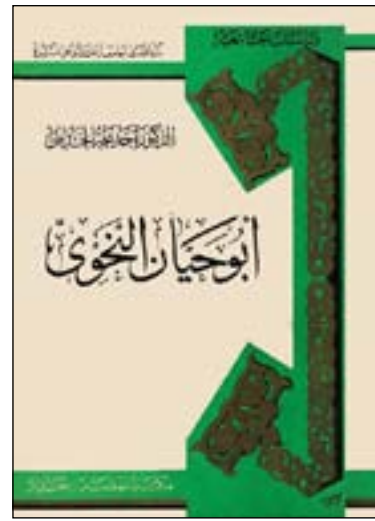
وأعني بالتهجي أن يجلس الأستاذ على منصة التدريس ويرمي على رؤوس الطلاب قضايا النحو، قراءة حيناً وإملاءً حيناً آخر، فالفرق كبير بين هذا النهج وأن تمنحهم القدرة على التفكير في تلك القضايا ومناقشتها. وكان من نتيجة الجهود التي بذلتها الدكتورة الحديثي، أن عبّر لي بعض الطلاب والطالبات عن قناعتهن بأن العراق الذي وضع أسس النحو في مدرستي البصرة والكوفة في القرنين الأول والثاني للهجرة بناءً على معارف تلك الأزمنة، ما زال نحويوه رؤاداً في

منهجة النحو على أسس متلائمة مع مستويات دارسيه في الأزمنة الحديثة. في ذلك الشهر الذي لم يتكرر كانت اللقاءات مع الدكتور أحمد وزوجه، يومية، مما أتاح لي أن أفهم الجوانب الثلاثة المندمجة في شخصية واحدة متفاسكة: الإنسانية، الأسرية، والباحثة في واحد من أكثر جوانب الدراسة العربية صعوبة ووعورة ومدعاة للضيق النفسي، لتشتبع مسائله ومسرتها القاسية. وقبل سنتين من كتابة هذه السطور، زرت بغداد زيارة خاطفة وكان من أبرز أهداف الزيارة إضافة إلى رؤية العراق بذاته، والالتقاء بالأهل والأصدقاء، أن ألتقي بالدكتور أحمد وزوجه الدكتورة خديجة. تحقق اللقاء مع الدكتور أحمد مطلوب في المجمع العلمي العراقي، فهو رئيسه، وهناك اتصلت بي الدكتورة خديجة هاتفياً تدعوني لزيارتهم في دارهم في بغداد، غير أن الوقت لم يسمح بذلك، وكم أشعر بالأسف لعدم تلبّيتي تلك الدعوة الكريمة، على أمل أن نتاح لي فرصة زيارتهما في أقرب الأجال.

(٣)  
للباحثة الحديثي عشرة كتب مفردة التأليف، وعشرة أخرى مشتركة، وأما الإشتراك فمع زوجها الدكتور مطلوب، مما يجعلهما ظاهرة فريدة في تاريخ التأليف والتحقيق، الأدبي والنحوي. ومما يلفت النظر أن نصف مؤلفاتها المفردة مخصصة لسيبويه والكتاب المنسوب إليه، نسبة تملك لا نسبة تأليف، على ما أنا مقتنع به.

(٤)  
وقبل أسابيع قليلة تلقيت خبر مرضها، وانقطاعها عن التأليف، فكتبته عن ذلك في صفحة التواجة، مما أحدث ردود فعل متعاطفة بشدة، وما زالت تصارع المرض، فلها أطيب الدعاء والأماني والأمال بانتصارها عليه كما انتصرت على التجهيل النحوي في تدريسيها وتأليفها، حتى عرفت بمعلمة الأجيلال.

## الأستاذة الدكتورة خديجة الحديثي عالمة النحو في العراق



خديجة عبد الرزاق عبد القادر الحديثي.. كاتبة محققة وأكاديمية متخصصة بعلم النحو والصرف ولدت في مدينة البصرة سنة ١٩٣٥، تخرجت في كلية الآداب والعلوم بجامعة بغداد قسم اللغة العربية سنة ١٩٥٦م بدرجة امتياز خاصة، وحصلت على شهادة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦١م في علم الصرف بدرجة جيد جداً عن رسالتها (أبنية الصرف في كتاب سيبويه) ونالت شهادة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة أيضاً سنة ١٩٦٤م عن رسالتها أبو حيان (النحوي).

عملت على ملاك التعليم الثانوي خمسة أعوام بعد تخرجها من الجامعة، وبعد حصولها على شهادة الماجستير نقلت معيدة إلى قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة بغداد سنة ١٩٦١م، ورقيت إلى مرتبة مدرس سنة ١٩٦٣م، وإلى أستاذ مساعد سنة ١٩٦٧م، وأستاذ مشارك سنة ١٩٧٢م، وإلى أستاذ في جامعة الكويت سنة ١٩٧٢م، وفي جامعة بغداد سنة ١٩٧٤م، عملت أستاذة منتدبة في جامعة الكويت للفترة ١٩٧١ - ١٩٨٧م، وأستاذة زائرة في جامعة وهران بالجزائر سنة ١٩٨٠م، وتولت وظيفة مساعد عميد كلية الشريعة بجامعة بغداد سنة ١٩٦٣م، وعمادة الطالبات (الأقسام الداخلية للبنات) بجامعة بغداد ١٩٦٤م.

ولقد تميزت بحوثها بدقة الاستقراء والمتابعة المنهجية تاريخياً لكل قضية تتابع نشأتها وتطورها. كما اعتمدت المنهج الوصفي حين النظر فيما قرره القدماء، ثم اعتمدت على ذلك وسيلة لبيان رأيها ووجهة نظرها في مسائل النحو المتشعبة. واستطاعت بهذه المنهجية الدقيقة أن تزيل جملة من الأوهام المتعلقة بتطور الدراسات النحوية ومصادرها وأولياتها، ويتجلى ذلك بكل وضوح في متابعتها لمنهج النحاة في الاستشهاد بالحديث النبوي، حيث لفتت أنظار الباحثين إلى أن النحويين الأوائل لم يستشهدوا بالحديث النبوي، وإن استشهد بعضهم به فقد كانوا يرسلونه من غير إشارة إلى كونه حديثاً نبوياً كالذي لاحظته في كتاب سيبويه الذي هو أوسع موسوعة نحوية لغوية بلاغية شاملة.

إن اهتمام السيدة الحديثي بكتاب سيبويه يعطينا فكرة عن الطريق الصعب الذي سارت عليه، إذ إن القدماء أنفسهم كانوا يعيّنون عن فريدة في تاريخ التأليف والتحقيق، الأدبي والنحوي. ومما يلفت النظر أن نصف مؤلفاتها المفردة مخصصة لسيبويه والكتاب المنسوب إليه، نسبة تملك لا نسبة تأليف، على ما أنا مقتنع به.

(٤)  
وقبل أسابيع قليلة تلقيت خبر مرضها، وانقطاعها عن التأليف، فكتبته عن ذلك في صفحة التواجة، مما أحدث ردود فعل متعاطفة بشدة، وما زالت تصارع المرض، فلها أطيب الدعاء والأماني والأمال بانتصارها عليه كما انتصرت على التجهيل النحوي في تدريسيها وتأليفها، حتى عرفت بمعلمة الأجيلال.

جواد عبد الكاظم محسن

بغداد ١٩٥٩م.  
. لغتي للصفوف السادسة الابتدائية (بالاشتراك) - بغداد ١٩٥٩م.  
. المبرد؛ سيرته ومؤلفاته - بغداد ١٩٩٠م.  
. المدارس النحوية - ط ١ بغداد ١٩٨٤م، ط ٢ بغداد ١٩٩٠م.  
. من شعر أبي حيان الأندلسي (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب) - بغداد ١٩٦٦م.  
. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف - بغداد ١٩٨٢م.  
. ونشرت مجموعة من البحوث والدراسات، منها:  
. بغداد والدرس النحوي - ١٩٨٥م.  
. التصغير في كتاب سيبويه ولسان العرب - ١٩٩٠م.  
. العلة النحوية ومدى ظهورها في كتاب سيبويه - مجلة كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت ع ٣-٤ / ١٩٧٣م، ص ٢٥-٥٥.  
. اللغة والنحو - ضمن موسوعة حضارة العراق المطبوعة ببغداد سنة ١٩٨٥م.  
. منهج أبي حيان الأندلسي في تفسير القرآن - مجلة الرسالة الإسلامية ع ١٩-٢٠ / ١٣٨٩هـ، ص ٢٠-٣٠.  
. موقف سيبويه من الضرورة - ضمن كتاب (دراسات في الأدب واللغة) الذي أصدره قسم اللغة العربية بجامعة الكويت سنة ١٩٧٧م.  
. موقف سيبويه من القراءات والحديث - مجلة الآداب بجامعة بغداد مج ١٤ ع ١/ ١٩٧٠، ص ١٨٥-٢٢٨.  
حولها:

الدكتور أحمد مطلوب وأحمد ناجي القيسي) - بغداد ١٩٦٢م.  
. البرهان في وجوه البيان لأبن وهب الكاتب (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب) - بغداد ١٩٦٧م.  
. الندوات التي دعيت إليها بحوث ومحاضرات، منها محاضرة بعنوان (القياس بين البصريين والكوافيين) في جامعة الكويت سنة ١٩٨٥م، و (إبن جني في كتابه التمام) في ندوة كلية التربية بجامعة الموصل ١٩٨٩م، و (العروبة والإسلام) في ندوة جامعة الكوفة سنة ١٩٨٩م، و (التصحيح الجوي في الصحافة العراقية) في ندوة كلية التربية بجامعة الموصل ١٩٩١م، و (الدراسات الصرفية في همع الهوامع) في ندوة جامعة مؤتة بالأردن سنة ١٩٩٣م، و (المصطلح الصرفي في كتاب سيبويه) في مؤتمر جامعة اليرموك في أربد بالأردن سنة ١٩٩٤م  
أشرفت على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعتي بغداد والكويت، وأسهمت في تقييم عدد كبير من البحوث والمنشورات الأدبية واللغوية والعلمية المعربة في جامعة بغداد ووزارة الأوقاف ووزارة الثقافة والإعلام وغيرها في العراق  
• حصلت على الجائزة التشجيعية من هيئة تكريم العلماء في العراق سنة ١٩٨٩م  
• أثارها المطبوعة ×  
. أبنية الصرف في كتاب سيبويه - بغداد ١٩٦٥م.  
. أبو حيان النحوي - بغداد ١٩٦٦م.  
. الخلاء للخطيب البغدادي (تحقيق بالاشتراك مع

عراقيون  
من زمن التوهُج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة  
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

مخزي لير

رئيس التحرير التنفيذي  
علي حسين

سكرتير التحرير  
رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

# الدكتورة خديجة الحديثي.. الجانب الآخر

سليم شريف



والصدق وهما قوة لا ضعف.  
× أين تكمن قوة المرأة؟  
- في ذكائها وجديتها ورقة عواطفها، وإصرارها على تحقيق ما تريد.  
× لو اجتمعت ثلاث نساء على مائدة رجل قوي؟  
- لكنت كل واحدة أقوى من أي رجل قوي.  
× لو سمعت امرأة تطالب بأن يكون المهر أعلى من الحب؟  
- لوصفتها بالجنون والقصور والتخلف.  
× قيل أن نكاح المرأة أقل من نكاح الرجل؟  
- قول مغرض في الغالب.  
× من أين جاء الخجل إلى المرأة؟  
- مما فطرها الله عليه، فهو هبة ربانية.  
× هل استوعبت الجامعة طاقاتك؟  
- تقريباً.  
× أيهما أقوى الشر في الرجل أم في المرأة؟  
- الخير فيهما هو الأقوى.  
× من يحزن أسرع، الرجل أم المرأة؟  
- الرجل يفزع ويظهر فزعه، والمرأة تحزن وتكتم حزنها.  
× هل صحيح أن الحرية هي نقيض الخوف؟  
- كثيرون ممن منحوا الحرية خائفون.  
× هل صحيح إن المرأة لا تكذب؟  
- صحيح.. إلا أن اضطرها الرجل إلى ذلك، وعودها عليه.  
× لماذا تنفعلين في الصدق؟  
- لأنه أسمى الصفات، فلا بد معه من اصدق العواطف وأكثرها بروزاً وهو الانفعال!  
× في أيهما تتضخم الأنا عند المرأة أم عند الرجل؟  
- عند الرجل.  
× كاتب كبير قال: المرأة شر لا بد منه؟  
- قول ساقط عقيم، فالخير كله فيها، فهي الأم والأخت والزوجة والبنات، ولولاها ما كان الرجل.  
× ما علائم المرأة الجميلة؟  
- تواضعها وبساطتها وذكاؤها.  
× كم فيك من الوارثة، وكم فيك من البيئة؟  
- كل ما في ورائي، ولا أتأثر بالبيئة إلا قليلاً.  
× أيهما يخاف الموت أكثر الرجل أم المرأة؟  
- الرجل بحسب تجربتي، وملاحظتي.  
× اختصري شخصيتك ببنت من الشعر القديم؟  
- وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

- تبعد في ما تحس أنه نافع للأخرين، صادر عن اقتناع منها.  
× لماذا يدافع الرجل عن حقوق المرأة أكثر منها؟  
- لأنه يحس بأنه المصادر لحقوقها، يمنحها إياها أو يمنعها.  
× هل صحيح أن كل امرأة هي حواء؟  
- ومن عسى أن تكون إنن.  
× وهل صحيح أن كل رجل هو آدم؟  
- ومن عساه أن يكون؟!  
× ما الفرق بين كتابة الرجل وكتابة المرأة؟  
- الرجل يكتب مجاملاً أو طائعاً أو صادقاً، والمرأة لا تكتب إلا عن صدق وإحساس بالحاجة للكتابة.  
× أجمع الرواة على أن البكاء هو وسيلة روحية لتعالج المرأة به ضعفها؟  
- قوة المرأة في انفعالها، وانفعالها عند الحق

وأستاذة بجامعة بغداد.. شاركت في عدد كبير من المؤتمرات العلمية والأدبية والإسلامية التي عقدت في داخل العراق وخارجه، وقد أقامت صداقة علمية مع أبرز علماء العرب ومنهم: الدكتور شوقي ضيف والدكتورة سهير القلماوي وحسين نصار.. وتقوم فلسفتها على (إيمانها بالقدر: خيرهُ وشره) وهي متزوجة من أستاذ البلاغة أحمد مطلوب..

## حوار سيكولوجي

أما الوجه الآخر للدكتورة الحديثي: وجه الشخصية والتاريخ فنقدمه عبر هذا الحوار السيكولوجي:  
× كثير من الكتاب وصفوا المرأة بالشيطان؟  
- يصدق وصفهم على بعضهن.  
× ولماذا رقت قصائد الشعراء حول المرأة؟  
- لأنهم يصفونها بأنها شيطان فيحاولون أن يستميلوها.  
× في أي مجال إبداعي تبرع المرأة أو تخفق فيه؟

الدكتورة خديجة عبد الرزاق عبد القادر الحديثي عالمة في النحو العربي ورائدة في أبحاثه ودراساته لاسيما في موضوعه الشاهد النحوي وبالاحتجاج النحوي وبالمدارس النحوية، وألفت في ذلك عشرة كتب أخذت دورها في الجامعات العراقية والعربية وبعض جامعات أوروبية وإفريقية وصار لها مريدون وتلامذة يستشهدون بأصولها ومصادرها، والى مؤلفاتها حققت العديد من الكتب لعلماء نحويين وكتبت أبحاثاً غاية في الدقة والعلمية والموضوعية، وقد اعتمدت للتدريس في الجامعات كافة.. وعبر هذا الإنجاز والحيوية، العلمية وجدناها تتمتع بمزايا النواضع والبساطة وشفافية الحوار بينها وبين الآخر، وهو تواضع العلماء زادها رصانة وإحكاماً..

ولدت في ناحية (السبية) بالبصرة سنة 1934 وفيها أكملت تعليمها الأولي، ثم التحقت بكلية الآداب في جامعة بغداد، وحصلت على الماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة.. وعينت في عدة وظائف أبرزها: معاونة عميد كلية الشريعة



آخر صورة للراحلة مع زوجها الدكتور أحمد مطلوب

عراقيون

